الدرس الثامن/ غادة أم القرى: لأحمد رضا حوحو

أولا/ التعريف بالكاتب:

ولد(أحمد رضا حوحو) في(15 ديسمبر 1910) في قرية(**سيدي عقبة**) بمدينة بسكرة بالجنوب الجزائري وتتلمذ باللغتين العربية والفرنسية. وفي(عام1927) انتقل إلى مدينة(**سكيكدة**) لمتابعة دراسته الإعدادية وظل فيها أربعة أعوام، ثم عاد بعدها إلى بلدته ليعمل موظفًا للبريد. وفي(1934) قصد الحجاز مع أسرته،واتخذ من(**المدينة المنورة**) إقامة،حيث تابع دراسته ونال الشهادة العليا من مدرسة العلوم الشرعية عام (1938)، وعمل أستاذا بعد تخرجه وقد هيأت له هذه الإقامة (السعودية) زيارة بلدان عدّة (مصر ـ روسيا ـ فرنسا ـ تشيكوسلوفاكيا) وتركت هذه الرحلات بصمات واضحة في أدبه.

وأثناء عودته إلى **الجزائر**(1946) بعد وفاة والديه، ليحط رحاله في مدينة(قسنطينة) ويتولى إدارة مدرسة (التربية والتعليم) الأهلية، وفي العام نفسه انضم(رضا حوحو) إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. كما أصدر جريدة أسبوعية أطلق عليها اسم(الشعلة) وهي تهتم بالنضال السياسي والنقد الاجتماعي والقضايا الأدبية،إضافة إلى تحريره فيها في باب بعنوان (مسامير) مسلّطًا الأضواء على ظلم الاستعمار والموالين له، وثائرًا على التقاليد والعادات السيئة التي لا تمت إلى التراث العربي الجزائري بصلة.

وظل نضال الأديب(رضا حوحو) يهدف إلى نهضة الجزائر ويقظة شعبها إلى أن قامت القوات الفرنسية بحملة إرهابية (إثراء إعدام محافظ الشرطة في قسنطينة) من قبل مناضلي المقاومة السرية يوم (29مارس 1956)، اعتقلت خلالها وجهاء مدينة قسنطينة من بينهم الأديب(رضا حوحو)، ليعتقل بسجن الكدية، ولكن المدير المسؤول عن السجن رفض استقبالهم، فقادهم الجنود إلى(**الخروب**) التي لاتبعدعن قسنطينة كثيرا، وفي الطريق أطلق الحرس عليهم النار من الخلف وصرعوهم، وقد بينت الدراسات أنّ منظمة (اليد الحمراء) الإرهابية السرية كانت وراء هذه الحادثة التي أدت إلى استشهاد هؤلاء ومنهم الأديب(**أحمد رضا حوحو**) التي قضى نحبه شهيد الوطن في (29 مارس 1956).

ثانيا/ من مؤلفاته: منها ما هو مطبوع، ومنها مازال مخطوطا وهي:

1- غادة أم القرى: قصة طويلة اجتماعية أقرب إلى الرواية، صدرت طبعتها بتونس عام 1947 وطبعتها الثانية بالجزائر عام 1938.

2- مع حمار الحكيم: مقالات نقدية قصصية ساخرة، الطبعة الأولى في قسنطينة سنة 1938.

3- نماذج بشرية: تجمع هذه النماذج بين القصة والمقالة، طبعت بتونس1955.

4- صاحبة الوحي وفصص أخرى: مجموعة قصصية تضم ثماني قصص ومسرحية واحدة بعنوان (أدباء المظهر)، صدرت الطبعة الأولى بقسنطينة 1954، والطبعة الثانية بالجزائر 1983.

5- ثلاثة عشر مسرحية: منها (عنبسة ـ بائعة الورد ـ البخيل ـ سي عاشور ـ سي زعرور أو النائب العام المأمون) وهي مخطوطة.

وإذا عدنا إلى نتاج الأديب الشهيد(رضا حوحو) فإنّنا نرى الطابع الاجتماعي يسود أغلب ما كتب وعلى وجه الخصوص الإصلاح. ومن الموضوعات التي تعرض إليها وأخذت حيزا من كتاباته(**قضية المرأة**) فتطرق إلى واقعها البائس، وطالب بتعليمها حتى أنّ الإهداء في رواية(**غادة أم القرى**) جاء فيه:(إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب.. من نعمة العلم.. من نعمة الحرية، إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود..إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى)، وثار على زواج الجزائريين بالفرنسيات، وحث الشعب الجزائري على تعلم اللغة العربية وغيرها من القضايا المختلفة.

ثالثا/ملخص الرواية: تدور الرواية حول فتاة حجازية اسمها(**زكية**)، وهي بطلة القصة،كانت(زكية) فتاة كسائر الفتيات تخضع لنظام العائلة الحجازية، وفي إحدى المرات كانت تراقب من الشرفة إذْ بها تلمح شابًا كانت تعرفه وهو ابن خالتها (**جميل**)، كان هذا الأخير متجهًا إلى بيتهم شعرت زكية بشعور غريب اتجاه ابن خالتها وتذكرت الماضي عندما كانت تلعب معه بكل حرية، وقعت زكية في حب جميل وأصبحت تحبه بجنون، ولا تعرف ماذا تفعل إذْ تركع لحبها الشديد(لجميل) أم تخضع لقوانين وتقاليد العائلة الحجازية. وذات يوم أتى بعض الزوار إلى بيتهم قاصدين أباها(**سليمان**)، وكان هذا الرجل المدعو(**أسعد**) معروفًا بأنّه رجل خبيث ذو جاه ومال، يحب التباهي بنفسه وأخلاقه وأخلاق ابنه (**رؤوف**)، ثم دخل أسعد في صلب الموضوع، وقال لسليمان قد أتيناك بالحسب والنسب خاطبين ابنتك إلى ابني رؤوف، قال(سليمان) إنّ ابنتي مخطوبة لابن خالتها،غضب السيد أسعد، لمّاعلم ابنه (**رؤوف**) ما جرى غضب أشد الغضب وتوعد بتلقين(**جميل**) درسًا قاسيًا. ذات يوم كان (جميل) يتمشى في إحدى الحدائق، وكان(**رؤوف**) خلفه مع ثلة من رفاقه، كانوا يشتمونه فغضب جميل منه وهاجمه، فأسرعا صديقا رؤوف ونادَيا الشرطة، واتهم(جميل) بتهمة السكر والتهجم والاعتداء على(رؤوف) فحكم عليه بالسجن. كان الخبر قاسيًا على الجميع ولكنه كان أشد وأعنف على (زكية)، وكانت بين خيارين صعبين الحب الذي تكنه لجميل وتقاليد الأسرة، فهذه الأخيرة تحثها على التظاهر بعدم اللامبالاة

للمحافظة على شرف الأسرة، فاستسلمت لقوة القلب وأطلقت صرخة مدوية ثم خارت قواها وخرت مغشية عليها، كان هناك مخلوق آخر ليس أقل حزنًا من(زكية) وهي**(والدة جميل)** التي كادت تموت من الحزن، لم تلبث العجوز مكانها بل كانت تجري من مكان إلى آخر لتستنجد بمن يساعدها، ولكن من تراه يلتفت لعجوز مثلها. اقترب موسم الحج و(أم جميل) تترقب نبأ رحلة **(الملك)** من الرياض إلى مدينة أم القرى(مكة). لمّا جاء(الملك) اعترضت العجوز موكبه، صائحة ولدي.. ولدي يا مولاي أنقذ ولدي. استمع (الملك) للعجوز ووعدها بإعادة النظر في قضية ابنها، عادت(أم جميل) إلى دار أختها وأخبرتهم بما جرى، لم تصدق(زكية) ذلك، وبدأت بالصراخ وهي تقول قتلتموه أنتم تخدعوني، وغدت تجري فَهَوَت رجلها وسقطت واصطدم رأسها بحجر السلم، وكانت الصدمة قوية فتدفق الدم وأغمي عليها، وإذْ بها تفتح عينيها وتنظر إلى الأعلى وتبتسم وتقول (جميل أنا لك) ثم توقفت عن الكلام وبقيت تحدق في السماء ثم انقطع نفسها(ماتت)، وفي هذه الأثناء وقف أمام منزل الشيخ(سليمان) رسولاَ القصر الملكي يحملان نبأ وفاة (جميل)، وإذْ بهما يسمعان العويل والنحيب فمكثَا برهة ثم قال أحدهما للآخر هيا بنا، فقد وصلهم الخبر فماتت(زكية) بصدمة عصبية عنيفة، ومات(جميل) جزعًا في سجنه.

رابعا/ صورة المرأة في ظل العادات والتقاليد: يصور**"**رضا حوحو**"** الحياة الاجتماعية في الحجاز (السعودية) وتحامل على رؤية المجتمع للمرأة آنذاك، تلك الرؤية التي تذهب إلى عزل المرأة ومصادرة خيالاتها الحياتية بعامة، ثم عرض لفساد الطبائع وخضوع النفوس للشهوة واستذلال الفقير، والمعتقدات والدين، والخرافة، والرغبة في التدين، والسحر والشعوذة، والفصل بين الجنسين.

ـ وقد جسد الكاتب المرأة بصورة مختلفة في هذه الرواية، بحيث صورها اجتماعيًا ملتصقة بواقع معقد تحكمه تقاليد بالية، جعلت منها شيئًا جامدًا، فهي لا تنطق بل تصفق ، لا تشارك بل تسمع، ولا تبدي رأيًا بل تتلقى،لا تبادر لكن تتمنى وتطمح، ويقودها من حولها إلى ما يراد لها دون أن تبدي قبولاً مطلقًا أو رفضًا بيّنًا، لأنّها مسلوبة الإرادة.

ـ وأما صورة المرأة الجاهلة والأمية، فتظهر عند نساء الرواية ككل وعلى رأسهم البطلة(زكية) حيث أنّ المرأة في المجتمع الحجازي والجزائري كانت محرومة كلّيًا من نعمة التعلم والتعليم. ومن هنا نلاحظ أنّ الكاتب**"رضا حوحو"** وضع أمامنا الصورة المؤلمة المحزنة لحال المرأة الجزائرية وعمق الصراع الداخلي الذي كانت تعانيه وهي الخائبة المستلبة، تعيش في واقع متدهور القيم ومتحجر الأفكار.

إن أدب(حوحو) يتميز بميزتين أساسيتين هما(**السخرية**) وهي ظاهرة شائعة في جميع آثاره. والميزة الثانية ظاهرة(**الحوار**) وهي من أبرز ما امتازت به أعماله الأدبية، وقد برع فيه لدرجة كبيرة .